المولد الأمريكي

(من إعلان الاستقلال الأمريكي - ترجمتي بطريقتي وشرحي)

يُقرأ في الرابع من يوليو.

وعندما يحس الإنسان بإرادة التحرر من الطغيان.

سرى النور في الأرض من جبين النبي،
فدار حتى وصل إلى أرض ابن العربي.
ومِن ثمّ ركب في الفلك فحملوه باطناً،
مستوراً بأمثال الكون والعقل الجلي.
حتى قامت أمّة هي خير أمّة أخرجت،
في أرض السياسة عند الحُرّ الأبيّ.
فتعال واستمع فلست كاهناً يسجع،
بل أُسطّر بالحق الذي بالبرهان ينجلي.

ثاروا على طاغية الانجليز اللعين،
فانتصروا للخالق وانتصروا للدين.
اجتمعوا للشورى بالرابع من يوليو،
في ألف وسبعمائة وستة وسبعين.
وتعاهدوا كالشرفاء وتقاسموا بينهم،
على نصرة حريتهم بالسيف المبين.
صلّوا لربّهم خالق الأرض والسماء،
فجاءهم بالفتح وهو نِعمَ المُعين.
إذ كتبوا استقلالهم بقلَم عزيز،
وأجمعوا أمرهم الكريم كأمريكيين:

لكل أمّة حق الاستقلال،
وإقامة دولتها بما عندها من آمال.
وقد تهيمن دولة على غيرها،
وتعتاد الأمم على ما بينهم من حبال.
فاحترام عقول الأمم يقتضي،
بيان أسباب هذا الانفصال.
فكل الدول متساوية مع اختلافها،
فالأرض للجميع والكُلّ رجال.
وللطبيعة قوانين تعرفها العقول،

والإله في النفس لا بمنقول الأقوال.
هو إله الطبيعة ورب الكون حقاً،
وقد رسم حقوقنا كما رسم الجبال.
فلم نعتدي ولم نظلم بكتابتنا،
وعملنا بمقتضى إعلان الاستقلال.
فتعالوا واسمعوا لمبادئنا العالية،
وسياستنا المعقولة بميزان الاعتدال.

نحن جماعة من الأحرار،
قد أشرقت بنا الأنوار.
فشهدنا يقيناً بالوجدان،
حقائق غنيّة عن البرهان.
كل الناس سواسية،
وذواتهم متساوية.
خلقهم ربّهم كذلك،
كما خلق الليل الحالِك.
فكل فرد مثيل كل فرد،
والابن حقاً يعادل الجَد.
لا فوق ولا تحت بين الناس،
لا نبيل ولا حقير بلا التباس.
خلقهم متساويين فلا يتغيّرون،
إذ لا يُبدِّل خلقه المُبدِّلون.
أنّى لمخلوق اللعب بالشمس،
أو تغيير حقائق العقل والحس.
هكذا الخلق ساوى بينهم،
بالحق اليقين ساواهم ربّهم.
كل الناس جعل فيهم خالقهم،
وملأ ذواتهم بالحق ربّهم.
بحقوق لا يمكن التصرّف فيها،

ولا بحال من الأحوال إبطال معانيها.
حقوق من الخالق لا من الدولة،
ولا من المجتمع ولا من العائلة.
لا من الأمة ولا من الدين،
لا مِن مَن في السماء ولا الأراضين.
بل ربّك الواحد المجيد في كونه،
الملك الحق الظاهر في خلقه.
وضع في الكل حقوقاً ثابتة،
وفي كل فرد شريعة غير مائتة.
حقوق يحاربون بها ويقيسون،
يطالبون بها بقوة ولا ينتظرون.
من هذه الحقوق نذكر ثلاثة رؤوس،
لا تغيّرها الأيام ولا تكسّرها الفؤوس.
الحياة والحرية والسعي للسعادة،
حفظك لهم هو لخالقك عبادة.
كما تدافع عن نفسك بغير إذن أحد،
وتقتل مهاجمك فلا يلومك أحد.
كذلك حريتك والحر ليس كالعبد،
فحارب لحريتك ولو حاربت للأبد.
الحرّ يتحرّك ويقول ما يشاء،
ويؤمن ويكفر وحجّته "أشاء".
الحر لا يملك ماله غيرهُ،
ولا يقيّد إرادته إلا هو.
يشارك بوضع قوانين بلاده،
ويُحدد أحكام نفسه وتِلاده.
السعي للسعادة باب مفتوح،
يسع كل ما يأتي من فتوح.
لا قيد مطلق في بلاد الإنسانية،
بل كل شيء يتغيّر بانتخاب الأكثرية.

حتى الدستور وأصل الدولة وفرعها،
والثقافة والتقاليد والعادات كلّها.
كله في دوامة التغيير بالإرادة،
وبالسِّلم أيضاً فللناس السيادة.
لا إنسان ولا سقف للتغيير،
ولا هيئة عليا تحدد التنوير.
السعي حي ومطلق فانطلق،
إذ لكل سعادته ولكلٍّ منطق.
الدولة لا تضمن ولا تحمي السعاده،
مَن يملك الشيء يملك أضداده.
سعيك محروس لكن وصولك مشكوك،
قد تمشي على الأرض ولا تملك صكوك.
لكل فرد سعادته الخاصة،
وتسقط الأضداد بالمقاصّة.
فلا يبقى إلا حماية السعي،
فالسعي حقّك فلا تمتري.
قد يطول سعيك وقد تفشل،
قد تغفل عنه أو تتركه بجهل.
إلا أنه موجود وحقك مضمون،
وعائب البشر على القصور مجنون.
فحسب الأمّة من تطوير مستقرّ،
ولو بمعاناة وسقوط مستمرّ.
فالعبرة بالقيام وتحسين الأوضاع،
وغابة الدنيا مليئة بالضباع.
هذه ثلاثة حقوق ضربنا أمثالها،
لا تحصر الحقوق ويوجد أمثالها.
وسيبيّن الدستور بعد ذلك تفاصيلها،
وسيذكر أخواتها ويبيّن مجملها.
مع فتح باب التعديل بغير قيد خارجي،

فتكلّموا أيها الناس وجرّبوا الرأي.

لحماية هذه الحقوق وحراستها،
والسهر على دوامها وإقامتها.
من أجل ذلك وليس لتأليه البشر،
ولا تأليه الدولة فقد برئنا ممن كفر.
من أجل ذلك فقط فاعقل واستمع،
حتى ينجلي عنك الظلم وينقشع.
من أجل ذلك أقمنا دولة لا غير،
فالدولة آلة ووسيلة لا نَيْر.
الدولة خادم ووكيل نستخدمه،
لا رب ولا إله نعبده.
فربّنا واحد هو رب السماء،
وإلهنا في عقولنا بالسَّناء.
ونحن أفراد لسنا مماليك،
ونحن كرام لسنا صعاليك.
السلطة المشروعة لدولتنا،
هي بنت رضانا وإرادتنا.
وما سوى هذا طغيان فظيع،
وعدوان أثيم وبغي شنيع.
فنحن نحدد وظيفة الحكومة،
فنحن الحكام بصورة العامّة.
كالولي القطب يبدو كالفقير،
والكون حول مركزه يستدير.
كذلك العامّة في دولة الأحرار،
هم الملوك تحت الأطمار.
إن جارت الدولة وهدمت حقوقنا،
وصارت غاية لا وسيلة تحتنا.
حينها من حق الناس تغييرها،

أو إن لم تتغيّر فالدمدمة عليها.
إبادتها كلّها حق العوام،
وليس عليها واجب الاستسلام.
فالقضاء والقدر يميننا وشمالنا،
وكل مارق طاغية تحت أقدامنا.
نحن الزمان فلا نرضخ لزمان،
نحن الأمان فلا نقبل بعدوان.
أنفاس بغير حرية نَجِسة،
وأيام بغير كرامة نَجِسة.
بل نبيدها كما بدأناها،
ونعيد خلق غيرها مكانها.
نضع قواعد الحكومة الجديدة،
على مبادئنا الفلسفية الرشيدة.
التي تبدو لنا رشيدة لا بالمطلق،
فالمطلق الرب ومن نازعه انمحق.
ننظّم قوى الحكومة برأينا،
وبحسب الشكل المناسب لنا.
الذي يبدو لنا بأغلب الظن،
لا باليقين المطلق للذهن.
بأنه وسيلة أقرب لتحصيل أمننا،
وإدامة عزّنا وحراسة سعادتنا.

العقل الموزون يقضي بالعدالة،
بعدم التسرّع في تغيير الدولة.
فليس كل سبب سخيف وطاري،
أو سبب صغير ومؤقت عَرَضي.
كافٍ لتبرير إبادة الدول،
فهذا من الغلوّ والخبل.
بل لابد من سبب كبير،

وجوهري ودائم وخطير.
فالناس قد يصبرون على الشرور،
ألا ترى بالأقفاص ترضى الطيور.
اعتياد الناس على شكل الحكومات،
يجعلها تبلع السمّ وتقول "هات".
لكن لصبر الناس حد محدود،
يندم على نسيانه الظام الجَحود.
فإذا انهمر على الناس قطار الظلم،
مظلمة وراء مظلمة مع نسيان الحِلم.
اغتصاب للسلطات ونسف للحقوق،
إدامة الطغيان واعتياد العقوق.
بغاية ظاهرة لأولي الاطلاع،
خطّة موحدة يطلبها الضباع.
وهي تأسيس استبداد تام،
لا يفرّق بين سام ولا حام.
حينها يكون من الحق والواجب،
على كل فرد التحوّل إلى محارب.
يكون من الحق فاحذر التلبيس،
وخداع كهنة وفلاسفة إبليس.
الذين سيقولون لله فاخضعوا،
ومن الذكاء لرئيسكم أن ترضخوا.
وسيخوّفونكم بالفوضى وبالدمار،
وبحلول الأهوال وبالأخطار.
الحذر فالعيش تحت الاستبداد،
هو أعظم ما يمكن من الفساد.
فهو حق لكم بل هو واجب عليكم،
واجب لا مجرّد حق هو لكم.
فقم بالواجب تجاه خالقك،
إذ أعطاك من لدنه حقوقك.

وقم بالواجب تجاه النفس،
لا تشوّه العقل ولا الحس.
وقم بالواجب تجاه الإنسان،
فالاستبداد في مكان
هو استبداد في كل مكان.
فاصنعوا حكومة جديدة،
ذات أمان وصفات حميدة.
أنتم صنعتم الأولى،
فلكم صناعة الأخرى.
وإن حاولتم فلم تنجحوا ،
كنتم بالسعي ممن أفلحوا .

بعد ما فصّلوا المبادئ والغايات،
نزلوا في إعلانهم إلى الذات.
فبيّنوا حالتهم الواقعية،
والمظالم الشنيعة الانجليزية.
أي غرابة في مظالم الملوك،
هل يعرفون غير الظلم سلوك.
لا تَلُم الذئب على الافتراس،
ولا تتعجّب من أذيّة المزابل للحواس.
شأن الملوك منذ قديم الزمان،
سوء معاملة واستعباد الإنسان.
قال في ذلك هؤلاء الأمريكان،
قد صبرنا وتحمّلنا كثيراً الطغيان.
لأننا مستعمرة بريطانية،
ولم نشأ تغيير صورتنا السياسية.
صبرنا لعلّ طاغوت الانجليز يرعوي،
أو يتفّهم طلباتنا فيُسالِمنا فيهتدي.
لكنه أصرّ بل زاد في طغيانه،

كلما زدنا في استعطاف جنابه.
نعم هذا شأن الفراعنة واقرأوا،
ما قال الله في موسى افهموا.
حتى الكليم لا يفلح في تكليم،
ولا باللين يغيّر حال الملك اللئيم.
ولا انقلاب العصا ثعبان،
ولا ألف آية من سحر القرءان.
لا ينفع فرعون إلا الغرق،
إيّاك والوهم واستعذ بربّ الفلق.
قاموا بالسلاح وبقوا بالدجل،
فأنّي ينفعهم اللسان ونور العقل.
لكل ملك سيف مسلول،
ودجّال يسحر بأمره العقول.
غرضهم الدنيا دنياهم هم لا غير،
لسلام مُلكهم يُهلكون البشر والطَّير.
محاولة تغيير الملوك بالتبيين،
كمحاولة إطفاء النار بالبنزين.
كفّ عن هذا وخذ ما فعله الأمريكان،
أحرار الأرض وسلاطين هذا الزمان.
جرّبوا مراسلة الطاغية في جزيرته،
صبروا عليه فأبى فأخذوه بجريرته.
قرروا تغيير حكومتهم بالانفصال،
وتنفّسوا الحرية وأعلنوا الاستقلال.
إذ نظروا في تاريخ ملكهم الحالي،
فوجدوه مسلسل غاصب عالي.
آذاهم من كل وجه في دولتهم،
وسلبهم بغير حق حقوق سلطتهم.
وتعنّت وبالغ من كل الوجوه،
وغرضه الوحيد أن تسجد له الوجوه.

ليقيم استبداداً تامّ الأركان،
على جميع ولايات الأمريكان.
وليس هذا كلاماً مُرسلاً،
ولغواً عاطفياً مسترسلاً.
بل لهم على ذلك أدلّة ملموسة،
مفصّلة مشهورة غير مدسوسة.
ها قد آن أوان تفصيل المظالم.
واحدة تلو أخرى ليعقلها العالَم.

للدولة سلطات ثلاث مفصّلة،
كلها في ذاتك أنت مجملة.
فالسياسة ليست من الغرائب،
ولا حقائق من الأسرار العجائب.
انظر في نفسك وستجد الدولة،
أنت الكون فلا ترى نفسك نملة.
الإرادة وتنفيذها والحكم بها،
هذه الثلاثة فاعلمها وتأملها.
فالإرادة للسلطة التشريعية،
والتنفيذ للسلطة التنفيذية،
والخلاف في القوانين وتطبيقها،
هو عمل السلطة القضائية.
هذه الأصول وتفصيلها في الدستور،
ولكل دولة اختياراتها بما لها من نور.
لذلك بدأ كُتّاب إعلان الاستقلال،
بتفصيل حال الثلاثة للاستدلال.
وبدأوا بمظالم متعلّقة بالتشريع،
إذ أصل الدولة قانونها الوضيع.
ثم ثنّوا بمظالم باب القضاء،
لأنها قليلة فتفرّغوا منها للعناء.

عناء تعداد المظالم التنفيذية،
وهي الغالبة على الأنظمة الملكية.
بل كل الأنظمة رئيسها التنفيذي،
رأس الفساد لسلطانه العسكري.
فالمشرّع له القلم والقاضي الحكم،
كلاهما عاجز بغير جنود القهر والدم.
أرقى الأقلام وأعلى المحاكم،
أذلّاء تحت أقدام جنود الحاكم.
إلا إذا كان الشعب كله يتَسلّح،
حتى يخافه مَن بسلطته يترنَّح.
لا مفرّ من هذين لمن عرف،
لبّ الأمور ومن التاريخ اغترف.
فلا يفلّ الحديد إلا الحديد،
ولا غير العنف يهدي الجبّار العنيد.
عرض الأمريكان شكواهم على الأمم،
ولا أدري لماذا والأمم غارقة في الظلم.
فمَن كان سيبالي بما بهم من طغيان،
طغام أوروبا أم طغاة آل عثمان.
لعلّهم كتبوا لعصر جديد مستنير،
أو أحسنوا الظنّ وهو شأن المُنير.
لا يبكي العرب مما هو مكتوب،
فما كانوا فيه هو لهم فوق المطلوب.
عرب اليوم في قاع العبودية،
فلا يستغربوا من الشكاوى الأمريكية.
لكن ليعتبروا لعلّهم يرشدون،
أو يهاجروا لعلّهم يخلصون.
تعالوا ننظر في هذه المظالم،
وليأخذ العبرة منها العالِم.

رفض الطاغية الختم على قوانين،
سليمة وصالحة لمصلحة الأمريكيين.
قد كان لهم مجالس تشريعية،
تمثّل آراء رجالهم السياسية.
لكن لأن الملك مرجع السلطات،
فلابد من ختمه لتتم التشريعات.
فامتنع وهنا أصل الفساد،
إذ احتاجوا إلى إذن أصل الاستبداد.
العدل أن يكتفي الناس بممثّليهم،
لوضع أحكام نفوسهم وأموالهم.
لا يحتاجون إلى ختم أحد،
وحسبهم الله الفرد الصمد.

رفض الطاغية الإذن لنوابه في المستعمرات،
من إصدار ما يحتاجونه من تشريعات.
ولو في الضرورة الحاضرة القصوى،
بل لابد من إذنه وهو في بلد أقصى.
حتى لمّا صبروا وسافروا لتحصيل إذنه،
وانتظروا قيام جنابه من نومه.
والفرا غ من أكله والعبث مع زوجه،
ومسح مؤخرته ومداعبة كلبه.
حتى بعد كل هذا الانتظار،
كان يُعرِض عنهم ذلك الجبّار.

رفض الطاغية إصدار قوانين لازمة،
لإقامة بلدات جديدة في الأرض الهائمة.
إذ هي أرض واسعة يُهاجِر إليها،
أجانب كثر ويستقرّون فيها.
لابد لهم من تجنيس للانضمام للجماعة،

لأن كل شيء بقانون كالسِّعر للبضاعة.
فكان الطاغية يتاجر معهم بحقوقهم،
"تنازلوا عن حقّ تمثيلكم لأعترف بكم".
حق التمثيل في المجالس التشريعية،
حق أصيل في الفطرة الإنسانية.
لأنه فرع الإرادة والحرّ محكوم بإرادته،
لا يُتصرّف في نفسه وماله بغير إذنه.
فلمّا كانت القوانين أحكام،
تتصرّف بالأملاك والأجسام.
بل تزيد فتطغى فتتصرّف في الأحلام،
وقد تصل حتى إلى القتل على الكلام.
فلا يجوز مطلقاً التنازل عن التمثيل،
في مجلس التقنين ولو جاء بالتنزيل.
حق التمثيل السياسي لا يُقدَّر بأثمان،
عند الأحرار وبدونه لا كرامة ولا أمان.
ويعاديه دوماً الطغاة المتجبّرين،
إذ ينسف نسفاً ما هم عليه من دين.
فكان الطاغية يساوم المستوطنين،
فكأنّه خيَّرهم بين الجحيم وسجِّين.
العدل أن يكون حق التمثيل والتصويت،
مطلقاً دائماً لا يغيّره لا مَلَك ولا عفريت.
واعلم أن الحرب على التصويت قائمة،
بكل زمان والمعتدي يحب العين النائمة.
بدون حق التمثيل والتصويت المُعتَبر،
لا الحقوق حقوق ولا البشر بشر.

قام الطاغية بأمر الهيئات التشريعية،
للاجتماع بأماكن بعيدة غير اعتيادية.
بعيداً عن أوراقهم ووثائقهم العمومية،

حتى يرهقهم وهم ذوي قوى بشرية.
قام بذلك لكي يستسلموا لقراره،
ويفرّوا من إرهاقهم إلى سقره.
اعتمد على الضعف للاستضعاف،
والتعذيب للاحتيال على الضعاف.
العدل تسهيل عمل المُشرِّعين،
بمكان معتاد وتسهيل مبين.
بجوار ما يحتاجونه من وثائق،
ليعملوا عملهم كالأمين الواثق.

قام بحلّ المجالس التشريعية،
وطرد أعضاء الحكومة الأبيّة.
لأنها أبت بثبات الرجال،
عدوانه على النفس والمال.
كانوا أمناء على حقوق الناس،
وأعلنوا رفضهم لقراره بلا التباس.
فاستعمل سلطته في الحلّ،
وأفنى سبب السلام بالجهل.
العدل بقاء حق حلّ الحكومة،
بيد واحدة هي يد العامّة.
إذ الحكومة حكومتها،
والتفويض تفويضها.
فما شأن الزنيم وراء البحار،
وما دخل اللعين خلف القفار،
ما شأنه وحكومة قامت،
بأمر ولخدمة أناس أحرار.

رفض الطاغية حتى بعد حلّ المجلس،
وطرد الأعضاء لعجزه عنهم كالمُفلِس.

رفض السماح بانتخاب غيرهم،
وترك العامّة بغير طائفة تمثّلهم.
إذ سلطة التشريع بالأصل للأمّة،
وبانتخابها للحكومة صارت العامّة.
يحكمها من انتخبته بتفويضها،
كالمحامي يعمل لها بتوكيلها.
فلمّا حلّ الطاغية حكومتهم،
عاد إليهم ما خرج منهم.
فكان لهم حق الانتخاب من جديد،
وتفعيل الحق هو الرأي السديد.
لكن الطاغية رفض السماح بذلك،
عملاً بسلطته الشاملة كالمالِك.
فترك الولاية مُعرَّضة للمهالك،
يخشى فيها المقيم والسالك.
وفتحها للغزو من الخارج،
وجعل فيها للفوضوي مخارج.
العدل حصر حق صنع الحكومة،
ووضع الاجراءات بيد العامّة.
حين تجعل نفسك كالتراب،
لا تبكِ حين يدوسك الأرباب.

سعى الطاغية لإضعاف الولايات،
بتقليل عدد سكّانها من الذوات.
فمنع إصدار قوانين لإقامة الأجانب،
وسدّ أبواب الهجرة لهم من كل جانب.
وصعّب شروط تملّك الأراضي الخالية،
بهدم القواعد تسقط المباني العالية.
فما الأمّة الجديدة بغير مهاجرين،
وما الدولة الناشئة بغير المتجنّسين.

غذاء الأبدان بالطعام،
وغذاء البلدان بالأنام.
العدل أن يحدد كل مجتمع لنفسه،
شروط ضمّ الأعضاء الجدد لذاته.
والعقل يقضي بفتح باب الهجرة،
وتوسيع عمران الأراضي الخصبة.
فخير الناس من اختارك بإرادته،
لا مَن اتّفقت على ترابك ولادته.
فكم من خائن وكم من جاهل بالأمة،
وهو سابع حفيد فيها مُنتَمٍ للقِمَّة.
القُرب يعمي ويصمّ فاحذر القريب،
احذره مبغضاً واحذره وهو الحبيب.

إلى هنا مظالم متعلّقة بالتشريع،
وكما ترى فهي ظلم وظلم شنيع.
مدارها على تملّك الرقاب والبلاد،
وتحصيل الخضوع ولو بالإفساد.
إرادتك إرادتك لا تُسلّمها لمخلوق،
لا تطمئن لأحد وافترض العقوق،
فكم من نائم تحت بركان مُسالم،
استيقظ فوجد أنه محروق.

فتعال واستمع للمظالم القضائية،
والقضاء شريف فهو سنّة إلهية.
لابد منه في هذا العالَم البهيم،
ويحتاجه الودود كما يحتاجه الأثيم.

قام الطاغية بإعاقة سير العدالة،
بمنع ختمه عن قوانين قضاة الدولة.

إذ لكل شيء قانون في الحضارة،
بدون قانون الأمّة حتماً إلى خسارة.
الإرادة أصل القضاء والتنفيذ،
عظِّم إرادتك فوق تعظيم الحنيذ.
فجسمك وموادّه آثار ومظاهر،
إرادتك وفكرك أسباب وجواهر.
هذه المظلمة تجمع التشريع والقضاء،
فهي كالجبل ما بين الأرض والسماء.
وبعدها مظلمة واحدة طامّة،
كتأثير لدغة الحيّة السامّة.

جعل اللعين القضاة تابعين لإرادته،
عبيداً له وحده يخضعوه لأمره.
وذلك بقيامه بأمرين اثنين،
هما للقضاء كنفثةِ التنين.
الأول توظيف القضاة راجع له،
وبقائهم في مناصبهم رهن بأمره.
فالقاضي بشر ولابد من افتراض ضعفه،
لا يبني عاقل على حسن الظن أمر دولته.
"سيبحث عن مصلحته" هكذا الافتراض،
بدون البناء على هذا أمامك الانقراض.
مصلحة القاضي وهو موظّف عام،
استمرار وظيفته لا الحكم بالإلهام.
نعم بعد الاستقرار والاطمئنان،
تعال وخذ منه أحكام الرحمن.
لا يبني على الاستثناءات النادرة،
إلا حمار من الحمير الخاسرة.
لذلك حين يخشى القضاة الإقالة،
سيحكمون بحسب هوى الدولة.

كان هوىً ظاهراً أو باطناً،
كان أمراً خفياً أو مُعلناً.
للقاضي بدن وعائلة يعيلها،
وسمعة يحفظها خليلة ينيلها.
لن يضحّي من أجل قضية،
وإن افتقر سيطلب هدية.
وهنا يأتي الظلم الثاني،
وهو التحكْم بسيّد الأماني.
سيّد الأماني المال أيها الحبيب،
فهو مرهم الدنيا ولبلائها طبيب.
تحكّم الطاغية بكمّية الأجور،
وبموعد دفعها و"العبد مأمور".
سيأتمرون كالعبيد له ليأكلوا،
سيقبّلون يده وهو كلب ليأخذوا.
حتى ولو كان القاضي غارق بزهده،
فلن يرى لعائلته من الجهد كجُهده.
يفسد القضاة وهم مستقلّون،
فكيف وهم محكومون.
يفسد القضاة وهم أغنياء،
فكيف وهم عالَة فقراء.
ومَن شكّ في هذا فهو مجنون،
فانظر للنار أيها المفتون،
فستجد في قاعها قضاة يتجادلون،
ومن شدّة تعجّبهم يقولون:
كلّنا هنا...فأين فلان المأبون !

ثم كتبوا عن جرائم العساكر،
ذوي الدم لا ذوي الدفاتر.
فقالوا يُعددون مظالم السلطة التنفيذية،

التي تحتها القهر وفيها العقلية الجبروتية.

اختلق الظالم مناصب متعددة،
لا حكمة منها ولا للبلدة فائدة.
وأرسل الموظّفين ليشغلوها،
ليزعجوا البلدة ويرهقوها.
ويأكلوا خيراتها فيضعفوها،
ويستهلكوا مواردها ليفقروها.
للظالم حيل كثيرة فارتقب،
الخاسر مَن كان له مُصطَحِب.
ليكن سوء الظن به لك حليف،
وافترض دائماً أنه خبيث.
كما عكس الأمور فاعكس،
كما نكّس الحقوق فنَكِّس.
فهو مدان حتى تثبت برائته،
بل دِنهُ أبداً حتى تفقع مرارته.
مَن كان أصله الشر فاحكم،
بشرّ فروعه وأبداً لا تستسلم.
هذا صنع المناصب الوهمية،
ليرضي عبيده ويهلك الرعية.
العدل أن تكون الوظائف،
للضرورة كالبخيل الخائف.
له موارد محصورة يحذر النفاد،
ويخاف أن يرميه الناس بالفساد.
مُعلنة للأمّة معها الأهداف،
يشغرها الأمين وبالإنصاف.

قام الظالم في وقت السلام،
بتوظيف جيوش على الدوام.

جيوش مستديمة لا مؤقتة بالحرب،
ليجثموا على صدور العامّة كالرب.
ولم يأخذ إذن المجلس النيابي،
"مجلسكم عدم والجيش أنيابي".
هذا لسان حال مَن طغى،
يُعامِل البلدة كساحة الوغى.
كالجحيم عيشه كلّه لعنات،
ويجد قوت يومه في الغزوات.
السِّلم له كالعسل للمريض،
يجده مُرّاً ويُفضِّل الغريض.
غريض الذبائح المسكينة،
فروحه لا تعرف السكينة.
العدل أن لا يقوم جيش إلا بإذن،
تصريح من سَدنة الإرادة والذهن.
إرادة العامّة وذهنها المختصر،
من مجموع جدلها المعتبر.
والأصل في الأحرار الميليشيات،
لأنها تُدعى فقط عند الضرورات.
لكن دوام التعرّض للعدوان،
والخوف على المصلحة من الفقدان.
يجعل الأحرار يُنشئون الجيوش،
لكنهم خدم الأمّة وليسوا كالوحوش.
فميزانيتهم تتجدد كل فترة،
ويختفون بأمر العامّة بِزَفَرَة.

سعى الظالم في أخطر المساعي،
مسعى جعل أمّتنا إلى اليوم تعاني.
مسعى خبيث ملعون أصوله،
تعيسة فروعه مظلمة غصونه.

من عمق سقر تنبت ثماره،
في قلب الشيطان يجد بذوره.
هو مسعى جعل السلطة العسكرية،
مستقلة عن وفوق السلطة المدنية.
كل آثام الدول ترجع إن بحثتها ،
إلى هذا الجذر الفاسد سببها.
وإلا فإنه لا دولة تستمر في الظلام،
إن كان للعامّة تصريف أمرهم بسلام.
انظر في نفسك وستجد الأصل،
العسكري عنف والمدني العقل.
أن يحكمك العقل خير من العنف،
سترى أمورك دوماً آيلة إلى اللطف.
العنف سيّد البرارة،
وأهل الملّة الخاسرة.
تحت موجة إعلاء العسكر،
يجوز إبادتهم كلهم بالقهر.
لا ينفعهم إيمان بل لهم الكفر،
لا ترحموهم بقارب بل قاع البحر.
خسارة الدنيا أهون من دولة الجنود،
العدم خير مما يضعونه من الحدود.
اختلف الأمريكان على الكثير،
وتجادلوا في السياسة والتنوير.
لكنّهم اتفقوا على رفع المدنيين،
وإعلاء أمرهم على أمر المُجَنَّدين.
هذا من شرفهم الخالد،
وأثر من عقلهم الماجد.

تآمر الظالم مع آخرين،
للاستبداد على الأمريكيين.

عبر إخضاعهم لسلطة غريبة،
عن دستورهم وقوانينهم الحبيبة.
لمّا وضع الآخرون قوانين لحكم الأمريكان،
ختم عليها بالقبول هذا المعتاد للطغيان.
لم يستأذنهم ولا انتظر موافقتهم،
لم يبالي بحريتهم ولا مُشرِّعيهم.
لأن سعيه يدور حول سلبهم الحرية،
وكسر ما بقي في نفوسهم من فردية.
ذهب لليمين وحاول الشمال،
ظنّاً أنه لن يجد أمامه رجال.
رجال لا يتقيّدون إلا بأمر ذواتهم،
ولا يُسلّمون بقوانين من عند غيرهم.
إلا أن يشاؤوا هم فيصدروها،
كأنهم هم الذين اخترعوها.
وهو عين العدل عند الأحرار،
انظر في الأصل واهتك الأستار.

أمر الطاغية كتائب كبيرة،
بالمكوث بين الجموع الوفيرة.
يمشون بينهم ويعيشون،
يراقبونهم دوماً وينظرون.
يهددونهم بوجودهم ويُعلنون،
خضوع الكل لِمَلِكهم الملعون.
كتائب مُسلَّحة للإرهاب،
وجعل الأوادم كالكلاب.
الطغيان مِلّة واحدة،
عاهرةُ أمّها وحاقدة.
انظر لتعاملهم مع الأبرياء،
وقتلهم النقّاد بل والأنبياء.

وإخافة الصغير والنساء،
وترغيب العجائز بالفناء.
وكسر عِزّة الشرفاء،
وقهر روح العلماء.
والتهديد دوماً بأنهار دماء،
وتبديد أنفاس الأذكياء.
قاتلوهم يعذّبهم خالق السماء،
بأيديكم وينصركم على السفهاء.
فتنظروا حولكم فلا تجدون،
إلا مساوٍ لكم أو مَن تُحبّون.
لا ترحموا للطغاة عَبرة،
لا تُقيلوا لهم أدنى عثرة.
إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم،
وإن يقمعوا ثورتكم النيّرة يبيدوكم.
كلّما نظرتم إلى جنودهم العنوا،
وابصقوا على ظِلالهم وانحنوا.
إن أجبروكم على الانحناء،
فاركعوا للخالق لنفي الشقاء.
واعتبروا ركوعكم إيماء لهم بالرمز،
"سنأخذكم قريباً للقبر" قل بالهمز.
انحنوا كما تنحنون لحفر القبور،
مع عزمكم لسدّ منافذهم للنور.
سينشرون حولكم جنود مرتزقة،
ألا ما أخسّها وأخسرها من صفقة.
سيأكلون رزقهم غداً من حميم،
ويلعنون يوم أكلوا طعام الأثيم.
كل جندي في جيش الطاغية،
مجرم ولو اشتغل بغسل الآنية.
على جميعهم عاجلاً الاستقالة،

والعيش ولو من كنس البقالة.
وجودك أيها الجندي المتربّع،
وسط الأمّة كالكلب المُتَسَبِّع.
وجود إجرامي لأنك إرهابي،
لن ينفعك تبرير ولا التغابي.
قد أنذرتك وأنا من المنذرين،
فاقبل والعن معي الظالمين.

قام الظالم بحماية القاتلين،
من جنود غروره الماكثين.
في الولايات الأمريكية،
لتبقى للمَلكية البريطانية.
أين الغرابة في حدوث القتل،
بين قاهر ومقهور تحت الذل.
الجندي لا يفهم إلا السلاح،
هو عنده الحق وعين الفلاح.
فلمّا جعلهم يربضون في البلد،
لم يرضى بإخضاعهم لأي أحد.
حتى ولو قتلوا والقتل كبير،
في ذهن الغبي والمستنير.
فلإيهام الناس بوجود العدل،
لابد من محاكمة ولو بالهَبَل.
محكمة محسوم حكمها قبل البحث،
والظلم فيها أسهل من النَّفث.
إذ كلب المَلِك مَلِك الكلاب،
وعبيد الرب من الأرباب.
لو تركهم يُحاكَمون باسم الحق،
لفتح على طغيانه باب السَّحق.
لو لم يُقم محاكمة ولو صورية،

لفتح على نظامه باب البربرية.
لحلّ المُشكلة أمر بمحاكمتهم،
مع سابق علم الكل ببرائتهم.
فالمخدوع من العوام سيقول،
"قد برأهم الشرع والمعقول".
والجنود سيرضون ويقولون،
"مسرحية للضحك على الذقون".
ويبقى العقلاء وهم قلائل،
ينقدون في السرّ بغير طائل.
أو يعلنوا فيتجادلون مع العوام،
ويفتضحون أمام أعين الحكام.
فيعتقلونهم بغير جواسيس،
سهلة ولا تحتاج لقواميس.
حِيَل ملوك العالَم المتقدّم،
أكثر تعقيداً من ملوك المُسلِم.
فالمسلم ملوكه لا يشتغلون بهذا،
يقتلونه ويعذّبونه ولا يسألون لماذا.
من رائحة الحرية ضرورة الخداع،
وبشائر العدالة الظلم وراء قناع.
فالمحاكمة ولو كانت مسخرة،
خير من حُكم عبيد السُّخرَة.
السُّخرة السافرة القبيحة،
التي لا تخشى الفضيحة.
بل ترى القهر الشنيع البادي،
إظهار للعزّة للعاكف والبادي.
هذا الدرك الأسفل للإنسانية،
وإبادة ما فيه من حقوق ربانية.

قطع الطاغية طرق تجارتنا،

مع البلدان كلها لمحاربتنا.
في أرزاقنا واقتصادنا،
في أجسامنا وعائلاتنا.
عن كل البلاد منعنا من التجارة،
كأن الأرض أرضه والبحار بحاره.
حتى يؤثر في أعيان الولايات،
الذين المال عندهم غاية الغايات.
فيبغضون الثوار كأنهم شياطين،
ويلعنون الأحرار بالقلب والتبيين.
فيجعل بعضنا يقاتل البعض،
والسماء لا تعطف على الأرض.
الثري يرى الفقير يثور،
لا طلباً للحق بل للدثور.
الفقير يعتبر الثري خائناً،
وعن قضايا الوطن بائناً.
الجند يتبعون من عنده فِضّة،
وعن من سواه هي عنه مُنفَضّة.
لكن فيهم بقية من الكرام،
ليس كل الجند أبناء حرام.
فينقسم جند الولايات لقسمين،
حرب الواحد أشد من الاثنين.
"فرّق واغزُ" شعار الطغاة،
أمّة مشتتة هي أمنية البُغاة.
كذلك انقطاع التجارة سيؤدي،
لاستغناء الأمم عن البلد المُتحدّي.
المتحدّي لحكومته يرونه مشاغباً،
يشوش المصالح ولحقيبتهم ثاقباً.
يتركون انتاجهم ويبحثون عن بديل،
الله وحده مَن ليس له مثيل.

تستقر معايشهم بدون الأمريكان،
ويعتبرونها حادثة من حوادث الزمان.
لهذا وغيره قطع تجارتهم عن البلدان،
شيطان الانجليز المُغرق في الطغيان.

فرض الملعون عليهم الضرائب،
بغير إذنهم يا له من خائب.
يحسب الأحرار يرضون بالإذلال،
ويساوي بجهله بين الكلاب والرجال.
الضريبة من مالك فلابد من إذنك،
إذ مالك جزء من جوهر إرادتك.
لولا إرادتك لما عملت،
ولولا عملك ما كسبت.
فمرجع الإيرادات إلى الإرادات،
وهي لها تجلٍّ من التجليات.
لذلك قال نبي القرءان المجيد،
"مَن قُتِل دون ماله فهو شهيد".
شهيد الحق شهيد،
قتيل العدل مجيد.
مالك من نفسك فاعلم ما فيه،
إياك وتزهيد السحرة لك فيه.
يقولون "الدنيا دنية" لكي تتركها،
لهم ولأسيادهم ليأكلوها.
لكل فرعون سحرة فاحذرهم،
في الفقه قيل السحرة اقتلهم.
نعم هؤلاء الذين يأخذون الأموال،
قهراً ويزينون سلبها بالخيال.
خيال عقائدهم الدينية التافهة،
وفلسفاتهم السياسية البائسة.

حتى يقرّبهم منه اللص الأكبر،
ربهم الأعلى وشيخهم الأكفر.
يقولون ادفعوا الضريبة لولي الأمر،
فهي زكاة وهي مصلحة لأولي الفكر.
لكل غبي يضعون اسماً يسحره،
يسرقون ماله ويجعلونه يغفره.
تعال واستمع لمقال الأحرار،
ضريبة بغير اختيار نار.
نار سنشعلها على قاهرينا،
ونبيد بها بأيدينا سارقينا.
من وضع يده في جيبنا،
سنقطعها أو يطلب إذننا.
نأذن بما نشاء لمن نشاء،
كيف نشاء ومتى نشاء.
نضع قانوننا لجمع الضرائب،
تحت أعيننا ولا أحد منا غائب.
ثم ننفقها بحسب ما نراه،
ونراقب المنفق وما جناه.
العيش مُرّ عند العبيد،
لأنهم تركوا عِزّ الحديد.
صارت نفوسهم مملوكة،
وأموالهم باسم الألوكة.
ألوكة الدجاجلة أي رسالتهم،
التي يزعمون أنها من ربهم.
لعائن الحق المتتالية إلى يوم الدين،
على أصل وفرع اللصوص المتغلّبين.
إن لم تملك مالِك فأنت مملوك،
مهما اغتنيت فأنت صعلوك.
أنت مالك حين لا تؤخذ منك ضريبة،

إلا بإرادتك وانتخابات صحيحة.
ولو خسرت اليوم وحكم قانون غيرك،
فكلكم شارك فاسعَ غداً لإقناع غيرك.
الحرية السياسية في المجتمع،
تعني حكم أكثرية مَن اقتنع.
وصوّت فعلاً لا صوّت في البيت،
ولم يكتفِ بـ"لو صار كذا" و"يا ليت".
ثم باب التغيير مفتوح،
فبلّغ رأيك لا تقعد تنوح.
قد تكره قانون الضرائب اليوم،
لكنه صدر بعدل فلا محل للّوم.
لكنه ليس قانوناً من السماء،
ولا جاء به خاتم الأنبياء.
فاعمل على تغييره إن شئت،
مع غيرك ولا تكتفِ بقول "زفت".
الزفت نظام حظيرة العبودية،
الذي أعلاه أدنى ما في الديمقراطية.
أنت تكسب اليوم وتخسر غداً،
خير من أن تعيش خاسراً أبداً.
وخسرانك اليوم هو فوز الأكثرية،
بخيرية السواد قضى خير البرية.
لأن الحق تفعيل إرادة الإنس،
وحلّية المال بطيب الأنفس.
نجرّب اليوم ونرى الآثار،
من التجربة نُصلح الأفكار.

حرمنا الظالم في قضايا كثيرة،
من المحاكمة بالطائفة المنيرة.
أي نظام اللفيف وهم النقباء،

الذين ينظرون في أمر الأبرياء.
من عامّة المواطنين يُختارون،
وبالواجب الوطني يقومون.
لفيف من أصناف مختلفين،
ليتقوّى النظر والحكم يستبين.
يجلسون بجانب القاضي،
يحكمون بمعيار الفرد العادي.
هل المتهم على براءته الأصلية،
أم استحق العقوبة الجنائية.
فالقاضي لا يقضي إلا بعدهم،
وحتى يُحاكم براءة الناس منهم.
أنفع ما يكون في القضايا السياسية،
لكي يقف الناس بوجه الرواية الرسمية.
ولا يُعاقَب الساعي لمصلحة بلده،
لا لشيء إلا فضحه خطأ حكومته.
الأحرار يحبّون نقد الحكومة.
ويرون السكوت كعكة مسمومة.
يبدو السكون لذيذاً للعُمي،
يبدو الخضوع سلامةً للغُبي.
المستنيرون أدركوا أهمّية النقباء،
واستنبطوا حيلة منعهم بذكاء.
حتى يحكم قضاة الطاغية بشهوته،
ولا يقف قانون أمام نتانةً نفحته.
إذ ثقافة الثورة والتحرير إذا انتشرت،
بين العامّة ستجدها بالعزّ انتفخت.
فملأتها روح الحرية المقدسة.
وصيّرتها ناراً على الحكومة المُنَجَّسة.
فلن تحكم بجرم ثوارها الأمجاد،
ولن تقبل اتهامهم بالفتنة والفساد.

علم الطاغية هذا فأبطل التنقيب،
سعة حيلة الطاغية حقاً أمر عجيب.
لكن لا تنفع الحيلة في الأيقاظ،
لذلك لابد من سحر يُغمِض الألحاظ.
وإشغال بالنفس وبالآخرة،
وإشعال الرعب من الحافرة.
والاهتمام بالعيال والقوت،
أو الوسوسة عن الملكوت.
أو تضليل فلسفات الأجراء،
خدم الدولة والمرتزقة العملاء.
أو الجدل طويل الذَّيْل،
عن الحيض وعن الكَيل.
وعن عدد جيش يزيد،
وآخر شطحات بايزيد.
أو قرب خروج المهدي،
أو وجوب التريض في النادي.
أو أي هراء من السماء والأرض،
ولو حقاً لكن غرضهم فقط العرض.
لاعتراض أعين الناظرين في السياسة،
من المستعبدين المفتقدين لأدنى كياسة.
فمَن يهتم بنظام النقباء،
ويلحظ أهمّيته بذكاء.
يهتم الأحرار الذين يرون الوحدة،
الرابطة لباب الصلاة بباب الرِدّة.
الكل بالكل مربوط في الواقع،
عُضّ على ذلك بضرس قاطع.

قام الطاغية بنقل المُتَّهَمين بغير أوزار،
من بلادهم ليُحاكَموا ما وراء البحار.

فالعدل يوجب محاكمته في بلاده،
ويقرر إخوانه برائته من فساده.
إرهاق المتّهم وتعريضه للخطر،
ظلم لأنه بريئ فلمَ يُنقَل بالبحر.
البحر في ذاك الزمان مهلكة.
المغامر والمضطر فقط يسلكه.
والإنسان بريئ حتى تثبت إدانته،
فخلاف الأصل أصلاً محاكمته.
لكن للضرورة العدلية تم التنازل،
قيود الدنيا توجب علينا التجاهل.
قد سلّمنا بهذا فما بال الأسفار،
وإرهاق المتّهمين بعبور البحار.
هذا وإن المتّهمين هنا غير مجرمين،
بل اصطنع تُهمهم الطاغية اللعين.
أراد قطعهم عن تشجيع إخوانهم،
ومنع إحداث شغب عند محاكمتهم.
فللإنسان نصر من وجود الناصر،
فيُرى مسروراً وقد كان قبلها باسر.
والتعذيب بانفراد كالرأس الحاسر،
تحت الشمس واذكر عمّار بن ياسر.
محاكمة المظلوم وقود الثورة العارمة،
تغذّي الغضب على الحكومة الآثمة.
فلكي ينال كل هذه الفوائد،
فعل ما فعل الخبيث الفاسد.

أراد المستبد صنع حكم مطلق،
على الولايات وإبادة فكرة الحق.
حتى يكون هو الحق والرب،
على القوالب وعلى كل قلب.

فوضع مؤامرة وسعى لتنفيذها،
وظنّ أنه لم يبقَ أحد لتفنيدها.
هذه هي وانظر عمق الإجرام،
لتعلم أن لإبادة مثله لا حرام.
اختار منطقة بجوار الولايات،
ليجعلهم نموذجاً وأدوات.
نموذجاً لاستبداده،
وأداة لاستعباده.
فألغى عندهم نظام القوانين،
الانجليزي الحر فصاروا عَمين.
لا يبصرون حقاً ولا واجباً،
بل الدين لطاغيتهم واصباً.
فهو القانون وهو النظام،
له يخضعون بغير أحلام.
له إعلام وعليهم السجود،
مَن خالفه فهو عدو لدود.
ثم وسّع حدودها لتقترب،
من الولايات لكي تحترب.
فتصبح آلة بيده لاستعبادهم،
ونموذجاً يرونه أمام أعينهم.
ولعله بعدها ينشر من يقول بِجِد:
"انظروا إلى أمن حكم المستبد.
الحمد لله على الأمن والأمان،
يا ليت لنا مثل هذا الطغيان."
من كل وجه حاربهم،
من كل وجهة قاتلهم.
نشر الفوضى والحيرة في الناس،
ثم عرض الاستبداد لرفع الالتباس.
هي سنّة الطاغين في كل زمان،

هم المرض ويعرضون الدواء بإحسان.
الاستبداد في بلد ألا فلتعلموا،
استبداد في كل البلاد فاقتلوا.
ألا ترى المستبدون يحاربون الأنظمة،
المجاورة لهم الحاكمة بغير الأمزجة.
إذ يخافون العدوى ويا للعجب،
من الصحة يخاف الكلب الأجرب.
اغسلوهم بقَطِران الحرية،
لا تُبقوا لهم مالاً ولا ذُرية.
حتى يُسلموا أو يستسلموا مذعنين،
لحكم بالعدل يكون الناس فيه متساوين.
مَن قاتل على مال الأمة فقاتلوه،
مَن اعتدى من ذريتهم فحاربوه.
كل بقعة على الأرض فيها استبداد،
هي سرطان الطبيعة وجذر فساد.
طهّروا الأرض منهم أجمعين،
واقطعوا دابرهم ليوم الدين.
ثم ادفنوهم جميعاً واقرأوا بتلحين،
"طسم" والحمد لله رب العالمين.

سلبنا الظالم ميثاق حقوقنا،
وأبطل من دوننا أعزّ قوانيننا.
وغيّر قواعد شكل حكومتنا،
فماذا بقي بعد ذلك من ظلمنا.
بسلب ميثاق قيامنا فتح الباب،
لكل الأمم المعتدية ولكل انقلاب.
بغير حقوق ما قيمة الحياة لأهل الفكر،
بل العيش أهنأ مع الدود في القبر.

عطّل الطاغية مجالسنا التشريعية،
وأودع سلطتها في مجالسه الانجليزية.
غصباً وعدواناً ادّعوا بغير إذننا،
حقّهم في التشريع فيما يخصّنا.
التشريع في كل القضايا بلا استثناء،
كأننا مجرّد أرض وهم فوقنا السماء.
كالأطفال عاملونا وهم الآباء،
كالعبيد حكمونا وهم الكبراء.
السلطة بالسيف وزنها هباء،
هي باطلة عقلاً بغير عناء.
إذ ما قام لرجحان القوة اليوم،
جاز تغييره لتبدّلها بعد اليوم.
انظر مدى اللامبالاة عند المستبدين،
بحق وقيمة فاحذر زخرفة الراحمين.
القائلون "ارحموا واحذروا يا ثوّار"،
ألا لعنة الله على كل جبان خوّار.

قام الطاغية بإلغاء الحكومة عندنا،
بإعلانه رفع حمايته المَلكية عنّا.
وبإعلانه الحرب علينا فعرف الكل،
أننا صرنا لقمة سائغة للأكل.
فإذ قد وصلت النوبة لإعلان الحرب،
فلم يبقى تردد في الاستقلال للقلب.
مَن أراد أكلنا لأنه يحسبنا ضعاف،
فليغسل فمه ويستعد للسُمّ الزّعاف.
لا ردّت العناية الإلهية عناية الطاغية،
وأغنتنا يد الربوبية عن يده الباغية.
اشتعلت الحرب الآن بين الفريقين،
وجرت أنهار الدماء بين الدولتين.

الدم دليل الحياة فلا تخافوا يا رجال،
الحرية والكرامة بغير دماء من المُحال.
مَن ذاق الدنيا وأحاط بالأسرار،
جاهد للحرية متوكّلاً على القهّار.
كل قطرة دم من ثائر كريم،
آية من آيات القرءان الكريم.
فاستكثروا من الآيات ففي كل حرف،
يكمن إن عقلت ألف ألف لطف.
قد أكلنا ولبسنا وضاجعنا،
ألا يا دنيا فغُرّي غيرنا.
ليس في الأرض فوق الكرامة مطلب،
ولا من إخلاص العبادة للحق مهرب.
لا يخوّفنك الظالم وجنوده الكلاب،
فهم سَفَلَة وأنت من أولي الألباب.
عرف الأمريكان عظمة الحرية،
وذاقوا ثمرة شجرتها القدسية.
فلم يعد لخضوعهم في نفوسهم مكان،
فأوقدوا نار العزّة لتُحرق الطغيان.

هاجم المعتدون بحارنا وشواطئنا،
أحرقوا بلداتنا ودمّروا حياة شعبنا.
هم بدأوا بالعدوان أوّل مرة،
وثاني مرّة والمظلومية مُرَّة.
هجموا بكل قوّتهم ليجعلونا نرتعب،
وكالفئران نهرب وكالغُربان نحتسب.
نحتسب عند الله مصائبنا كالعاجزين،
لا نحتسب ونحارب كالرسل الربانيين.
نحسب الخسائر والأرباح كالتجار،
لا نحسب الشهادة تاجاً كالأحرار.

الآن أثناء كتابة إعلان الاستقلال،
استأجر الطاغية أحقر الرجال.
مُرتزقة يقتلون لمن يدفع المال،
ألا لو يعلمون ما لهم من مآل.
المرتزق بالقتل بربري بلا حدود،
لأنه يريد الاستمتاع بالموجود.
فيقتل للإرعاب ويتمتع بالاغتصاب،
يعتدي بلا حساب ويتصرف كالأرباب.
لا حكم يردعه ولا قيمة تحبسه،
لا أمّة تحاسبه ولا ضمير يعذّبه.
لمّا استفرغت جهنّم في الأزل،
من صديد قيئتها خُلِق هذا الرجل.
نفسه الخبيثة تعذّب الجهنميين،
ويودّون حينها لو كانوا مسلمين.
بعثهم الطاغية ليكملوا القتل والتخريب،
والطغيان والقسوة والغدر بلا رقيب.
قرأنا التاريخ فوجدناه مليء بالبربرية،
فظنناها وهماً أو مبالغات الحَكَواتية.
لكننا آمنّا وسجدنا للحق وهو التواب،
لما شهدنا جرائم المُرتزقة الذئاب.
هذا وقد بعثهم وأعطاهم السُّحت،
مَلك يعتقد أنه متحضّر بحت.
يرأس أعلى حضارة إنسانية،
ويقود التطوير من البلاد الغربية.
كلّا ليس هذا برجل له أهلية،
قيادة حضارة ذات استنارة فعلية.
بل يصلح الطاغية لقيادة العبيد،
والهمج مثله ممن يحبّون رأيه السديد.

ويرتاحون للجبّار العنيد،
ويدعون له بالعُمر المديد.
أليس الحاكم في نهاية المطاف،
من لون مَن تحته ومن نفس المصاف.

خطف الباغي الأمريكان في البحار،
وأعطاهم أسوأ ما يمكن من الخِيار.
قال إمّا أن تقاتلوا معي إخوانكم،
وتساعدوني على ذبح أصدقائكم.
تهجموا على البيوت التي عمرتوها،
وتحرقوا الأحياء التي لعبتم فيها.
تنظروا في أعين الأحباب،
وبأيديكم تطعنوهم بالحِراب.
هذا واجبكم للككم المُفدَّى،
وحكم دينكم لمن أراد الهُدى.
فإن لم تقبلوا ذلك لأنكم شرفاء،
وتتلوّنوا في ضمائركم لي كالحرباء.
فعندي لكم أحسن بديل،
على يديّ ستلقون عزرائيل.
ألا فليذكر الراحمون هذا الكلام،
ألا فليعتبر المحسنون الظن باللئام.
الطاغية وجنوده شرّ أهل الفانية،
فقوموا إليهم ولا تُبقوا منهم باقية.

أشعل الطاغية الثورات بيننا،
وأيّد الفوضويين وسط بيتنا.
وقد كان ينهى عن الثورة الملعون،
ويأمر بالطاعة لولي الأمر المأفون.
لكن لمّا وجد الثورة تنفع دولته،

صارت الثورة من أركان ديانته.
لا قيمة عند المستبد ولا دين،
إلا استمرار استبداده لأبد الآبدين.
يحلم طبعاً بالاستمرار من الحُمق،
هل لفرعون وجنوده فرار من الغَرَق.
سعى ملك الانجليز لجعل الحدود،
جبهة جديدة بإثارة أهلها الهنود.
الهنود البرابرة غير الراحمين،
الذين يقول كتاب حربهم المبين.
دمّر بغير تمييز وبكل عنف،
لا تبالِ بعُمر ولا جنس ولا ظرف.
هذه خلاصة ثقافتهم الحربية،
فأحبّهم مجرم الزريبة الانجليزية.

في كل مرحلة من مراحل المظالم،
شكونا بكل تواضع لذلك الظالم.
طلبنا بخضوع واحترام شديد،
وبألفاظ اللطف وبقول سديد.
كالعبيد بل كالأطفال من أبيهم،
أو كالأصدقاء يسألون حبيبهم.
من اليمين ومن الشمال،
تكلّمنا ولم نتسلّح كالرجال.
فماذا كانت عاقبة الشكوى،
كانت علينا بلوى فوق بلوى.
كلما خضعنا داس علينا الخبيث،
عاملنا كالثري في بيت بغير تأثيث.
اعتبرنا كلاشيء يملأنا كما يشا،
كاليد العارية وهو الراسم بالحِنّا.
كذلك الملوك ألا عليهم لعائن الحق،

لا يعقلون الحق إلا برماح الصدق.
آذانهم لا تستقبل الكلمات،
لا يدخلها إلا السيف بالطعنات.
أعينهم ترى الضعيف فتدعس عليه،
ترى طالب النظافة بهم فتَسلَح عليه.
إيّاك ومخاطبة الملوك بغير العنف،
إيّاك وأن تُظهر أمامهم أي ضعف.
تعلّم من الأمريكان لا تكن خَبل،
عدم الاتعاظ بالغير مرض العقل.
الأمير الذي خصاله خصائص الطاغية،
وأفعاله أمثال ونماذج للعصابات الباغية.
لا يستحق ولا هو أهل ليكون الحاكم،
لأمّة أحرار يرون السعادة بذبح الظالم.

ذلك ما لقيناه من رأس الانجليز،
فهل يرانا عامهّم رؤية العزيز.
كلّا فقد أكثرنا من مراسلة إخواننا،
هناك من أهل لغتنا وأصل دولتنا.
أنذرناهم إنذار الأخ الموشك على الغضب،
أن مجلس تشريعهم يمارس علينا الغصب.
غصب حق تشريعنا لأنفسنا بأنفسنا،
أنذرناهم بذلك وصبرنا على إخواننا.
ذكّرناهم بهجرتنا وما عانيناه،
نبّهناهم باستقرارنا وما قاسيناه.
هاجرنا فصرنا غرباء غربة حميدة.
استعمرنا فأمسينا أعداء أمم عنيدة.
فالأرض غير مكتشفة أي لا دولة عليها،
وإن كانت قبائل كثيرة تعيش عليها.
بدأنا من الصفر وجهاد المبتدئ عظيم،

قد نجحنا الآن ألا فليستيقظ الحليم.
فليستيقظ إذ لن نصبر على العبودية،
بعد ما انتصرنا على الظروف الطبيعية.
خاطبنا إخواننا باسم العدالة،
توجّهنا لما فيهم من الجلالة.
وتوسّلنا بما بيننا من روابط الإخاء،
ليكفّوا اغتصاب ممثّليهم الأشقياء.
وهددناهم بلطف بعاقبة التغافل،
وهي فصل الروابط وإنهاء التراسل.
فماذا فعل عوام الانجليز المُستَعبَدين،
ضرطوا ضرطة وناموا كعجوز سمين.
أقول أنا كاتب السطور لمن يحلم،
بنصرة العبيد للأحرار ألا فافهم.
لو كان فيهم خير ما صبروا على الملوك،
لو كانت فيهم نخوة لما كان فيهم مملوك.
فما في إعراض العوام عن الحر غرابة،
لا هو حر ولا يفهم عدالة ولا يحترم قرابة.
لابد من معاملة شعوب الظالمين،
أيا كانوا كمعاملة الشعوب الآخرين.
في الحرب أعداء،
في السلم أصدقاء.

بناء على ما مضى من البيان،
نُعلن نحن نوّاب جميع الأمريكان.
عن ميلاد الولايات المتحدة الأمريكية،
المجتمعة هنا باختيارها وبكل حرية.
نعلن ونستمد العون متضرّعين،
من الحاكم الأعلى للعالَمين.
لتفعيل نيّتنا وتقويمها بالحق،

وجعل باطننا ظاهرنا بالصدق.
نعلن باسم وسلطة الأمّة الصالحة،
وشعب هذه المستعمرات الفالحة.
أننا ننشر ونبلّغ أهل الأرض،
بأن هذه الولايات المتحدة بالحق والفرض.
هي ولايات حرّة عن كل طغيان،
وهي مستقلة عن جميع البلدان.
وكل روابط الولاء للتاج البريطاني،
مع كل رابط أيا كان بحكمهم السياسي.
هو رابط مقطوع من الآن فاعلموا،
بريطانيا العظمى أجنبية عنّا فاذكروا.
الآن عادت الأمور إلى نصابها،
وقطعت الأرض عنها يد نَصَّابها.
عليه عادت لنا سلطاتنا الطبيعية،
وحقوقنا ذات الأصول الربانية.
كولايات حرية ومستقلة عند أهل العلم،
لنا سلطة إعلان الحرب عقد والسلم.
إنشاء الحلفاء بالمواثيق،
والتجارة مع أي صديق.
وجميع الأعمال الأخرى والقوانين،
التي تعملها الدول المستقلة بيقين.
ومن حقها عملها،
ومن شأنها صنعها.
ثم نرفع أكفّ الضراعة للسماء،
ونعقد بين قلوبنا ميثاق الوفاء.
حتى ندعم بالفعل الواقعي هذا الإعلان،
ولا نكون كحالم لا يعيش إلا في الأذهان.
متوكّلين بعزم على العناية الإلهية،
لحمايتنا من المظالم البشرية.

وتحقيق إرادتنا الساعية للحرية،
وهزيمة أعداءنا شر البرية.
على ذلك وبه والحق يُعين،
نعاهد بعضنا بعضاً بعهد مبين.
بالتضحية بالنفس في هذا الطريق،
وإهلاك الأموال لنصرة الرفيق.
كلمة شرفنا أعطيناها للرفقاء،
والحياة بلا شرف مجرّد هباء.
نعم الحياة والمال والشرف أركان،
يقوم عليها قطع دابر الطغيان.
من أراد الحياة ولو بذلّة،
من أراد المال ولو مع المذلّة.
فلا حظّ له في معنى الإنسان،
الذي هو حقاً خليفة الرحمن.

على هذا الإعلان وقّع خمسة وستون،
إن وزنت كرامتهم بالأمم يرجحون.
فليخلّد الناس ذكرهم وينشدون،
إذ الحرية أعظم مطلب إن كانوا يعلمون.

هذا ذكر بأسماء الصالحين،
الموقّعين كخلفاء رب العالمين.
وقد قيل بذكرهم تتنزّل الرحمات،
لعل ذكرهم يكشف عنّا الكربات.

جورجيا أنابت عنها رجال،
بتون غوينيت وجورج والتون،
وثالثهم لايمان هال،
أفذاذ على الحد يقفون.

من نورث كارولاينا ويليام هوبر،
وجوزف هيوز وجون بِن.
وقفوا بقوّة ولايتهم كالنسر،
أطاعوا سليمانهم كالجِن.

من ساوث كارولاينا إدوارد رتلدج،
وثوماس هايورد الذي لم يرتج.
معه ثوماس لينش وأرثر ميدلتون،
أحرار بحق فطرتهم يعملون.

من ماريلاند سموئيل تشايس،
وويليام باكا وثوماس ستون.
معهم محبّ الحرية كما كان قَيس،
تشارلز كارول من كارولتون.

فيرجينيا أرسلت جورج ويث،
وريتشارد هنري لي الليث.
وتوماس جيفرسون قلم الأسد،
مخلّد قيم الحرية إلى الأبد.
كاتب هذا الإعلان الكريم،
مُطلق أسد أمريكا العظيم.
معه بنجامين هاريسون،
وأخوه وليام نلسون.
وفرانسيس لايتفوت لي،
وكارتر براكستون الذي لا يستحي.
لا يستحي كالحق من الحق،
ويعتقد للظلم وجوب المحق.

بنسلفانيا بعثت روبرت موريس،

ومعه أصحاب كلهم رئيس.
فيهم بنجامين رش الأمين،
وشيخ الأمّة بنجامين فرانكلين.
عبقري العلم وميزان السياسة،
مَن أشبع في ذاته كل حاسّة.
كالشمس أشرق فأنار المجلس،
يقول بعقل لا يخمّن ولا يحدس.
معه جون مرتون وجورج كلايمر،
وجيمس سميث وجورج تايلر.
وجيمس ويلسون وجورج روس،
ضع أسمائهم بحب فوق الراس.

من ديلاوير كايزر رودني،
مَن ذكره مِن العزّ يُدني.
وجورج ريد وتوماس ماكين،
مَن بجهادهم حصل التمكين.

من نيويورك جاء ويليام فلويد،
ورفاقه أصحاب قلوب الحديد.
فيليب ليفينغستون وفرانسيس لويس،
والمضحّي بالروح لويس موريس.

نيوجيرسي بعثت ريتشارد ستوكتون،
ونصره صادقاً جون ويثرسبون.
وجون هارت وإبراهام كلارك،
وخامسهم فرانسيس هوبكينسون.

من نيوهامشير جوساياه بارلت،
معه ويليام ويبيل الكريم،

لم يبالوا بقال وقالت،
بل هجموا بعزم على الأثيم.

من ماساتشوستش جون هانكوك،
واحد عن أمّة تلبس ما يحوك.
وصموئيل آدم الكاتب الناري،
الثائر الكريم ذو الصوت النوري.
شعلة الحركة التحريرية،
محامي العزّة الأمريكية.
تغنّى باسمه لعل شعا ع الروح،
ينبعث فيك فتصرخ ولا تنوح.
صرخة الحق والفعل الشجا ع،
بتجريد الظلم عن كل قنا ع.
معه جون آدمز وما أشرفها من لمّة،
كم من رجل في هذه الأمّة.
داهية السياسة والصبور الجلد،
واغفر له ما تجاوزه من حد.
فكم من سيئة طمستها الحسنات،
وخبيثة غطّى رائحتها الطيبات.
مع هؤلاء الكرام روبرت باين،
والبريدج غاري اذكر كل حين.

من رود آيلند هوبكينز الشريف،
وويليام الري الذي لم يهب التعنيف.

من كونيتيكت روجر شيرمان،
وويليام ويليامز أعداء الطغيان.
وأوليفر ويلكوت كلهم محسنون،
معهم رابعهم ساموئيل هنتينغتون.

نيو هامشير أرسلت ماثيو ثورنتون،
ليكون موسى زمانها ضد فرعون.

هذه أسماء الكرام الذين قاموا،
لم يركعوا والحق الفطري أقاموا.
دولة هي جوهر الدول عبر الزمان،
لا دولة آلهة ولا فلاسفة بل إنسان.
إنسان يحسن ويسيء فيتعلّم،
يبني على الحرية وبنفسه يتقوّم.
نظر إلى الأعلى ورفع الراس،
لكن في الأرض وضع الأساس.
جمع بين الربوبية والإنسانية،
وتحرر من الفرعنة اللاهوتية.
جعل الحكومة خادمة للناس،
وناشئة منهم بالحق والإحساس.
انظر وسترى الحق بالعيان،
ذُق أمريكا وتحرر أيها الإنسان.

....